محاضرة الوضوح والغموض في النقد العربي القديم

تعدّ ظاهرة الوضوح والغموض في الشعر العربي من أهم القضايا التي شغلت تفكير النقاد العرب منذ زمن بعيد ، وهي وإن لم يظهر االاهتمام بها في بداية التدوين النقدي إلا مع ظهور طائفة من الشعراء المجدّدين، الذين طبعوا أشعارهم بطابع جديد يكتنفه الغموض والتعقيد، هذا بعدما أ لف العرب الأشعار القائمة على الوضوح والبيان. فما المقصود بالوضوح والغموض؟ وما الأسباب التي أوجدت هذه القضية بين النقاد؟ وكيف عالجهوها؟

.مفهوم الوضوح والغموض

: ورد في لسان العرب لابن منظور عن الوضوح: الوضح بياض الصبح والقمر والبرص والغرة والتحجيل في القوائم وغير ذلك من الألوان، وضح الشيء يصبح وضوحا، واتضح: أي بان، وهو واضح ووضاح، وأوضح وتوضّح: صار واضحا وظهر

أ ّما الغموض فتدور معانيه اللغويّة حول الغياب واالاستتار والخفاء، وبهذا فهو عكس الوضوح.

ب- اصطالحا: الوضوح هو البيان، فهو يربط البيان بوضوح المعنى، فالبيان في نظر الجاحظ هو الوضوح من جهة، وهو الفهم ووصول المعنى إلى السامع من جهة أخرى.

أ ّما الغموض فيعّرفه بعضهم أنّه: الغرابة والاستغلاق، وذلك بأن تكون الالفاظ غير واضحة، أو تكون العلاقة بينها غير مألوفة . وعموما فوضوح النص هو وصول المتلقي إلى معناه وفهمه دون أن يجد صعوبة في ذلك، أما غموض النص فهو أن يجد المتلقي، في فهمه والوصول إلى معناه، وربّما استحالة الفهم وهذا ما اصطلح عليه بالإيغال والتعمية والإلغاز وغيرها من المصطلحات.

وقضيّة الوضوح والغموض. ّ

1ـ أنصار الوضوح: تقف طائفة من النقاد العرب القدماء مع وضوح النص وبعده عن كل ما يعيق وصول معناه إلى قارئه، ومن أوائل الذين ناصروا البيان والوضوح نجد الجاحظ، شأنه شأن أرباب البلاغة وعلمائها، فقد نقل قول أحد أعلام البلاغة:«لا خير في كلام لا يد ّل على معناه ولا يشير إلى مغزاه وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت. كما يناصر ابن قتيبة الوضوح في الشعر، فيقول:" والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على)القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته« فهو يرى أ ّن الشاعر المطبوع من نظم شعرا سهلا ومفهوما. وينصح ابن رشيق الشاعر ليكون ُمجيدا بأن» يلتمس من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحا جليّا . ولا يحيد أبو هلال العسكر ّي عن هذا النهج، فهو يرى أ ّن: من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا « ، ويرى أنّه من الواجب إذا أراد على المتكلم الإفهام أن يراعي طبقات الناس ومراتبهم.

2ـ أنصار الغموض:.يفضل عبد القاهر الجرجاني المعنى اللطيف الغامض الذي لا ينجلي للقارئ إلا بطول الفكر وشدّة الطلب، وأن ذلك من شأنه أن يحبّبه إلى نفسه، وقد أصبح الغموض ومرادفاته يجسد علامة للجودة وأساسا للشعرية الحقة، ولهذا فقد استخدم عبد القاهر الجرجاني مصطلح الغموض من خلال الإشارة إليه مباشرة أو من خلال تسميات تدل عليه مثل التوسع، الغرابة، ومعنى المعنى، حيث بين عبد القاهر أن الغموض يكمن في المعنى الثاني أو المستوى الفني المتمثل في العمل الأدبي سواء أكان نثرا أو شعرا. يقول" الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد. ..وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"